صِفَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَخَصَائِصُهُمْ

الشيخ
عبد الستار الجنابي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة ، والسَّلام على رسوله الأمين ؛ نبيِّنا محمَّدٍ ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على نهجه واتَّبع شريعتَه ، ودعا إلى ملَّته إلى يوم الدِّينِ .

وبعـــــد :

فقد اختُصَّ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ بصفاتٍ يُعرفون بها دون غيرهم من الملل والنحل . ومن أهمها :

١ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ ؛ هم : من كان على مِثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ . وهم المتمسِّكون بسُنّةِ النّبي ﷺ ؛ وهم : الصحابةُ ﷺ : والتابعون ، وأئمّة الهُدى المتبعون لهم بإحسانٍ. وهم الذين استقاموا على الاتّباع ، وجانَبُوا الابتداع ، في أيّ مكانٍ وزمانٍ . وهُم باقون منصورون إلى يوم القيامة . فاتّباعهم هُدًى ، وخِلافُهم ضلالٌ .

وسُمُّوا أهل السُّنَّةِ ؛ لانتسابهم إلى سُنَّةِ النّبي ﷺ ، واجتماعِهم على الأخْذ بها ظاهرًا وباطنًا ؛ في القول ، والعمل ، والاعتقاد .

وسُمُّوا الجماعة ؛ لأنّهم اجتمعوا على الحقّ ، ولم يتفرّقُوا في الدِّين .

فهم أكثرُ النّاس حُبًّا للاتّفاقِ ، وبُغضًا للافتراقِ .

٢ـ يُعظِّمون نصوص الكتاب والسُّنّة ، ويقتصرون في التلقّي عليهما ، ويهتمّون بهما ، ويسلّمون التسليم المطلَق لنصوصهما ، ويفهمونهما على مقتضى منهج السلف الصالح ، وطريقتهم الـمُثلى ؛ فكلُّ ماوافق الكتابَ والسُّنّة قَبِلُوه وأثْبتوه ، وكلُّ ما خالفهما ردُّوه على صاحبه ؛ كائنًا من كانَ .

٣ـ ليس لهم إمامٌ معظَّمٌ يأخذون كلامه كلَّه ، ويدعون ما خالفَهُ ؛ إلّا رسول الله ﷺ . وهم أعلمُ الناس بأحوالِه ، وأقواله ، وأفعاله . لذلك فهم أشدُّ النّاسِ حُبًّا للسُّنَّةِ ، وأحْرَصُهم على اتّباعِها ، وأكثرُهم موالاةً لأهلها .

أمّا غيرُهم من الفرق الأخرى ومن متعصّبة المذاهب فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كلَّه ؛ حتى لو خالف الدّليل .

٤ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ يعظِّمون السَّلف الصَّالح ؛ وهم : أهلُ القرون المفضَّلة ، ومن تبعهم بإحسان . ويقتدون بهم ، ويهتدون بهديهم ، ويعتقدون أن طريقة السلف هي : الأَسْلَمُ ، والأَعْلَمُ ، والأَحْكَمُ .

٥ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ يستمِدُّونَ عقيدتَهم من الوَحْيَينِ : القرآن والسُّنّة ، وإجماع السلف الصالح . فهي عقيدةٌ سلفيّةٌ ، مُستقاة من ذلك النّبع الصَّافي ؛ بعيدًا عن كَدَرِ الأهواء والشُّبُهات . فهم لا يقدّمون على النَّقلِ : العقلَ والكشْفَ ، ولا الذّواتِ ، ولا المناماتِ . ولايقدِّمون كلام الرّجال مهما كانوا على كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ . فهم يقتصرون في التَّلقّي على الكتاب والسُّنَّةِ ، والاهتمام بهما ، والتسليم لنصوصهما ، وفهمهما على مقتضى منهج السلف الصالح .

٦ـ احتجاجهم بـالسُّنّة الصحيحة ، وترْك التفريق بين المتواتر والآحاد ؛ سواء في الأحكام ، أو العقائد . فهم يرون حُجّية الحديث إذا صحّ عن رسول الله ﷺ ، ولو كان آحادًا . والأدلّة على ذلك أكثر من أن تُحصى .

٧ـ الوَسطِيَّةُ . وهي من أعظم ما يختصُّ به أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ البقرة : ١٤٣. إنهم أهل الوسط والاعتدال ؛ بين الأفراط والتفريط ، وبين الغلوّ والجفاء . سواءً أكان ذلك في باب العقائد ، أو الأحكام ، أو السلوك ، او الأخلاق . فهم وَسَطٌ بين فِرق الأمّة؛ كما أنّ الأمّة وسَطٌ بين الـمِلَلِ .

٨ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم أهل الدعوة إلى الله هم حريصون على نشر العقيدة الصحيحة والدين القويم ؛ بالحكمة والموعظةِ الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسنُ . فلا أحدَ أحرصُ منهم على هداية الناس ؛ فهم أرْحمُ النّاسِ بالنّاسِ ، وخير النّاسِ للنّاس .

٩ـ يدخُلون في الدّين كلّه ، ويؤمنون بالكتاب كلّه ؛ امتثالًا لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ البقرة : ٢٠٨

١٠ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ لا يعمِّمون الحكم ؛ بل يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدةِ ، ويردُّون المتشابهَ إلى الـمُحْكم ، والـمُجملَ إلى الـمُبيَّن ، والـمُطْلَق إلى الـمُقيَّد . وهم بهذا سَلِمُوا مِن التناقض ، ووصلُوا إلى الحقّ .

١١ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ لايتسَمَّونَ بغير الإسلام والسُّنّة والجماعَةِ ، أو ما دلّ عليه . ويُنسَبون إلى ذلك. خلافًا لأهل البدع ؛ فإنّهم :

- إمّا أن يُنسَبوا إلى مقالتهم المبتدَعة ؛ كالخوارج ، والمرجئة .

- وإما أنْ يُنسَبوا إلى قائلٍ بدعتهم ؛ كالرّاوفض ، والخوارج .

وأهل السُّنّة بريئون من هذه النِّسب كلّها ؛ إنما نِسبتهم إلى الحديث والسُّنّة .

١٢ -أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ لايوالون ولايعادون إلا على أساس الدين ، ولا يَمتحنون الناس بما ليس من عند الله . فـأَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ لايمتحِنون الناس بأمورٍ ما أنزل الله بها من سلطان ، ولايتعصبون لأسماء ولا شعارات أو تجمُّعاتٍ أو زعاماتٍ ؛ بل يوالون ويعادون على أساس الدين والتقوى . وهم لايتعصّبون إلا لجماعة المسلمين بمعناها الحقيقي ؛ وهي : الجماعة التي ترفع راية القرآن والسُّنّة ، وهدْي السلف الصالح ﷺ.

١٣ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ يَعُدُّون امتحانَ الناس بالولاء والبراء لطائفةٍ ، أو شخصٍ مُعيَّنٍ من الـمُحدثات التي زجر عنها السَّلف . فإنّ الموالاة والمعاداةَ تكون على الحقائق ؛ لا على الدعاوى والأسماءِ .

١٤ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ لايكفّر بعضُهم بعضًا ، وليس بينهم خلافٌ في وجوب التبرُّؤ والتكفير . فهم يردون على المخالف ولو كان منهم ، ويوضّحون الحقّ للنّاس . وهُم يخطّئون ولكنّهم لا يكفِّرون ، ولايُبدِّعون ، ولايفسِّقون إلا من استحق ذلكَ .

وليس فريقٌ مِن فِرق المخالِفين إلّا وفيهم تكفيرٌ لبعضهم البعض ، وتبرُّؤُ بعضِهم من بعض ؛ كالخوارج ، والرّوافض ، والقدريَّةِ .

١٥ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ لا يختلِفون في أصلٍ من أصول الدين وقواعد الاعتقادِ ؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأقواله وأفعاله واحدٌ ، ، وقولهم في الإيمان ومسائله واحدٌ ، وقولهم في القدَر واحدٌ ، وقولهم في القرآن واحدٌ . وهكذا في باقي الأصولِ ؛ وهذه مِن أعظم نِعم الله الّتي أنعم بها على أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ .

١٦ـ تَرْكُهم الخصوماتِ في الدّين ، ومُجانبةُ أهلِها . وتجَنُّبُ الجدال والـمِراء في مسائل الحلال والحرام ؛ لأن الخصوماتِ مَدعاةٌ للفُرقة والفتنةِ ، ومَجْلَبَةٌ للتعصُّبِ ، واتّباعٌ للهوى ، ومَطيَّةٌ للانتصار للنفس ، والتشفِّي من الآخَرين ، وذريعةٌ إلى القول على الله بغير علمٍ .

قال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ : **((مَن جعلَ دِينَه غَرضًا للخُصوماتِ أكْثَرَ التَّنَقُّلَ))** . وقال جعفر بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ : **((إيّاكُم والخُصومات فإنّها تُشغِل القلبَ ، وتُورِثُ النِّفاقَ))** .

١٧ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ حريصون على جمْع كلمة المسلمين على الحقِّ ، وإزالةِ أسباب النزاع والفُرقة بينهم ؛ لِعلْمهم أن الاجتماع رحمةٌ وأنّ الفُرقة عذابٌ ، ولأنّ الله أمرَ بالائتلاف ونهى عن الاختلاف ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران : ١٠٢

والجماعَةُ عند أَهْلِ السُّنَّةِ هي مناط النجاة في الدنيا والآخرةِ ؛ كما أخبر النبي ﷺ : أَنّ أُمَّتهُ سَتَفْترِقُ إلى ثلاثٍ وسبعين فِرقةً ؛ كلُّها في النار إلّا واحدة . وهي : الجماعةُ . وفي حديث عنه ﷺ أنه قالَ : **(هُمْ مَنْ كَانَ على مِثْلِ ما أنا عليهِ اليومَ وأصحابي)** .

والفهْمُ الصّحيح لجمْع المسلمين على الحقِّ يجب أن يكونَ أخْذًا بالمنهج القائلِ : **(كَلِمةُ التّوحيدِ أساسُ توحيدِ الكلمة)** . ولا عَكْسَ ؛ لأنّ التوحيد هو الحِصْنُ الحصينُ ، والـمُنطلَق المتين لجمع كلمة المسلمين .

١٨ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ يجمعون بين : الخوفِ ، والرجاء ، والحُبّ . ويرون أنْ لا تنافيَ ولا تعارُضَ بينها . قال الله تعالى في وصف عباده الأنبياء والمرسلينَ : أنهم ﴿ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ الأنبياء : ٩٠ . وقال تعالى في مَعْرِض الثناء على سائر عباده المؤمنينَ : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ السجدة : ١٦.

وصَحَّ عند كثيرٍ من السّلف قولُهم : **((مَن عَبَدَ اللّهَ بالحُبِّ وحدَه فهو زنديقٌ ، ومَن عبَدَهُ بالخوف وحدَه فهو حَرُوريٌّ ، ومَن عبَده بالرَّجاءِ وحدَهُ فهو مُرجِيءٌ ، ومَن عبَدَهُ بالخوفِ والحُبّ والرجاء فهو مؤمِنٌ موحِّدٌ))** مجموع فتاوى ابن تيمية .

١٩ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم قُدوة الصالحين الذين يَهدون إلى الحق ، ويُرشدون إلى الصراط المستقيم ؛ وذلك بثباتهم على الحق ، وعدم تقلُّبهم ، واتّفاقهم على أمور العقيدة ، وجمْعهم بين : العلم والعبادة ، وبين التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب ، وبين الرحمة واللِّين للمؤمنين والشِّدة والغلظة على الكافرين ، وثباتِهم وإن اختلف الزمان والمكانِ .

٢٠ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ : هم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ مع الحفاظ على الجماعة، وتأليف القلوب ، واجتماع الكلمة ، ونبْذ الفُرقة ، والاختلافِ **((يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ ... وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ.**

وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ . وَقَوْلِهِ ﷺ : (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**))) مجموع فتاوى ابن تيمية .

وأضاف شيخ الإسلام ابن تيمية : ((**ويجب على أولي الأمر – وهم : علماء كلِّ طائفةٍ ، وأُمراؤها ، ومشايخُها – أن يقوموا على عامّتهم ، ويأمروهم بالمعروف ، وينهوهم عن المنكر ؛ فيأمرونهم بما أمر الله به ورسوله ، وينهونهم عمّا نهى الله عنه ورسوله ﷺ . ومِن الأمر بالمعروف : الأمر بالائتلاف والاجتماع ، والنهي عن الاختلاف والفُرقة**)) مجموع فتاوى ابن تيمية .

٢١ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ يعتقدون في صحابة رسول الله ﷺ أنهم كلُّهم عدول ، وكلُّهم في الجنة ، وهم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، والشهادة لهم بالإيمانِ أصلٌ قَطْعيٌّ معلومٌ من الدين بالضرورة . وهم رضي الله عنهم خير القرون ؛ لأن الله تعالى زكّاهم ، وكذلك رسوله ﷺ . فحُبُّهم دِينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ ، وبُغضهم كُفرٌ ونِفاقٌ وطُغيانٌ . فأَهْلُ السُّنَّةِ قلوبُهم عامِرةٌ بحبِّهم ، وألْسِنتُهم تَلهَجُ بالثّناء عليهم .

٢٢ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ . لا يُنسَبون في العقائد إلى شخصٍ بعينه ، أو إلى حزبٍ ، أو فِرقةٍ ؛ بل نَسَبُهم إلى النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، ومن سار على دربهم ، وتمسَّك بعقيدتهم ومنهجهم وأصولهم : (**مَا أنا عليهِ وأصْحابي**) سنن الترمذي . صححه الألباني

٢٣ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ بريئون من عقائد الأشاعرة ، والماتريدية ، والروافض ، والمعتزلة ، والمرجئة، والخوارج ، والقدرية ، وغيرها من الفرق التي خالفت عقيدة وأصول أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ .

٢٤ـ فِرقُ أهل القبلة المخالِفة لـأَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ مُتوَعَّدُون بالهلاك والنّار ، وهذا حُكمهم عند عامة أهل التوحيد ؛ الا من كان منهم كافرًا في الباطنِ .

٢٥ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ يُراعُون المصالح والمفاسد ، ويعلمون أن الشريعة إنما جاءت بتحصيل المصالح وتعطيل المفاسد ؛ حيثُ إنّ دَرْءَ المفاسد مقدَّم على جلْب المصالِح ؛ فهم يرتكبون أخفَّ الضَّررَين ، ويجتنبون أشدَّ الـمَفْسدَتَين، ويصبرون على أهْوَن الشَّرَّين ، ويسلكون أقربَ الطَّريقين ، ويختارون أيسر الأمرين . ويثق في علمهم طالبُ الحق من كل مِلّة ؛ فهم أقوياءُ بالحقِّ مِن غير غُلّوٍّ ، ورحماءُ بالخلق مِن غير عَسْفٍ ولا جَورٍ ؛ يأمرون بالمعروف بمعروف ، وينهون عن المنكر بلا منكر .

٢٦ـ هم أعدل الناس ؛ فالعدل أعظم سماتهم ؛ حتى إنّ الطوائف الأخرى إذا تنازعتْ احتكمت إلى أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ . وهم يوفون الكيل والميزان بالقسط ، ولا يبخسون الناس أشياءَهم ، ويَزِنون الأمور بالعدل والحكمة . يأوي إلى عدلهم المظلوم من كل أمّة وطائفة ؛ فالعدل عندهم قيمةٌ مُطْلقةٌ ؛ فان الله تعالى جعله واجبًا على كل أحدٍ في كل حالٍ ؛ فهم أَولى الناس بامتثال قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ الأنعام : ١٥٢ وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ المائدة : ٢.

ومن لم يميز بين وجوب معاداة الكافرين والظالمين وبين وجوب العدل معهم ، ويقيم الواجبَين معًا فليس من أهل الفقه في الدين ، والاتباع السديد لسيد المرسلين ، الذي أوحى إليه ربه أن يقول : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ الشورى : ١٥ .

٢٧ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ ليسوا معصومين من الوقوع في الأخطاء والمعاصي ؛ لأنّهم بشرٌ فيهم العابد الزاهد وفيهم العاصي ، لكن لا تُخرجهم هذه الأخطاء والمعاصي عن كونهم من أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ ؛ الا أنّهم لا يصرّون على فعل المعاصي ؛ فيُسرِعون إلى التوبة والإنابة ، والرجوع إلى الحقّ . **((وإنْ كان كلُّ خيرٍ في غير أهل السُّنّة فهو فيهم أكثرُ ، وكلُّ شرٍّ فيهم فهو في غيرهم أكثرُ))** مجموع فتاوى ابن تيمية .

٢٨ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ لا يخرج الحق عنهم ؛ لأنّ جماعة أئمتهم وعلمائهم تقوم مقام النبوة في حفظ هذا الدين ؛ كُلٌّ في المجال الذي يسَّره الله له . **((وفيهم : الصِّدِّيقون ، والشُّهداء ، والصَّالحون. ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى ؛ أولو المناقب المآثورة والفضائل المذكورة . وفيهم الأبدال ؛ الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم))** مجموع فتاوى ابن تيمية .

٢٩ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ يسترون عُيوب المسلمين ، ولا يتتبّعون عوراتِهم ، ولا يذكرون أخطاء أهل العلم إلا لبيان الحق ، وعلى سبيل الترجيح لا التجريح ، ويلتمسون لهم العذر .

وقد كان بعض السلف يُوصون الوُعّاظ والخطباء ألّا يفصّلوا ذنوبَ المسلمين وينشروا عيوبهم على المنابر؛ حتى لا يشمت بهم أهل البدع والإلحاد والمشركون . ويدخل في ذلك التشهير بالجماعات الإسلامية في أوساط أهل الألحاد والبدع .

٣٠ ـ أَهْلُ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ متنوِّعون في مواهبهم ومقاماتهم ، متّحدون في منهجهم وغاياتهم .

فمنهم : المجاهد ، والآمِر بالمعروف والناهي عن المنكر ، والمفسِّر ، والمحدِّث ، واللُّغويّ ،

والشَّاعر. ومنهم العامّة المطيعون لله ورسوله ، ولم يحمِلوا من العلم شيئًا . فكلُّ مَن لم تُفسِد البِدعُ فطرته فهو منهم على فطرة السُّنّة ؛ كالمولود على فطرة الإسلام الذي لم يهوِّدهُ أبواهُ ، ولم ينصِّراه ، أو يمجِّساه .

إنّ سبيل السُّنّة والاتباع كما هو أهدى السبيل وأقومها ، هو كذلك أَرْحَبُها وأرحمُها . وقد وَسِعَ السابقين الأولين ؛ من المهاجرين ، والأنصار ، ومُسلمي الأعرابِ .

٣١ ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ يتّبعون الحقّ ، ويرحمون الخلق ؛ فيكرهون المعاصي ويرفقون بأصحابها ، ويبغضون البدع ويشفقون على أهلها .

٣٢ ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ : عقيدتهم مبنيّة على السُّنّة والاتباع ؛ لا على الهوى والابتداع . يقولون في كلّ فعلٍ وقول لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ﷺ : إنّه بدعةٌ . لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه ، ولأنهم لم يتركوا خصلةً من خصال الخير إلا بادروا إليها .

فـأَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ يتركون أقوال الناس لأجل السُّنّة ، وأهل البدع يتركون السُّنّة لأجل الناسِ .

ومن ابتغى الهُدى من غير الكتاب والسُّنّة لم يَزْدَدْ من الله الا بُعدًا .

٣٣ ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم الأصل في أمة محمد ﷺ ، وهم الامتداد التاريخي والصحيح لأهل مِلّة الإسلام ؛ كما أن مِلّة محمد ﷺ هي الامتداد الطبيعي والصحيح لملل الأنبياء السابقين . فأهل الفرق الأخرى إذن دُخلاء على هذه الملة ، وأقلّيات شاذّةٌ خارجةٌ عن المسار الأصلي للأمة المسلمةِ .

٣٤ ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم خير النّاس للنّاس ، وهم حملة ميراث النبوة من العلم والرّحمة ، ومحبّة الخير للناس واحتمال آذاهم ، والصّبر على دعوتهم . هم كما قال أبو هريرة ﷺ : **((كنتم خير النّاس للنّاس ؛ تأتون بهم في السّلاسل حتى تُدخِلوهم الجنة ؛ فيُجاهدون ، ويبذلون أنفسهم وأموالهم لمنفعة الخلق وصلاحِهم، وهم يكرهون ذلك ؛ لجهلهم))** .

وأهل السُّنّة هم كما قال الإمام أحمد رحمه الله في خطبته :

((الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترةً من الرسل بقايا من أهل العلم ؛ يدعون مَن ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى . يُحيون بكتاب الله الموتى ، ويُبصِّرون بنور الله أهلَ العمى . فكم من قتيل لإبليس قد أحْيَوه !! وكم مِن ضالٍّ تائهٍ قد هَدَوهُ !! فما أحسَنَ أثَرَهم على الناس ، وأقبحَ أثَرَ النّاسِ عليهم !!)) .

فـأَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم العُدول الذين يحملونَ هذا العلم من كلِّ خلفٍ ؛ ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلينَ .

٣٥ ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ أصحُّ الناس عقيدةً ، وأقواهم إيمانًا ؛ ولذلك فأعمالهم تُضاعَف أضعافًا كثيرةً ، ودرجاتهم تُرفع وتَعلُو عُلُوًّا كبيرًا . لا يدانيهم أحدٌ ، ولايشاركهم إلّا مَن كان على مِثل ما هم عليه من الإيمان والعقيدة .

ولهذا كان السلف يقولون : ((أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ إن قعدتْ بهم أعمالهم قامتْ بهم عقائدهم ، وأهل البدع إن كثُرت أعمالهم قعدتْ بهم عقائدهم)) .

٣٦ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم الغُرباء ، الذين يُصلِحون ما أفسد الناس ، ويَصلُحون إذا فسد الناسُ.

٣٧ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم الفرقة الناجيةُ ، التي تنجو من الشركيات والبدع والضلالات في هذه الدنيا، وتنجو من عذاب يوم القيامة . وهذا مفهومُ حديث الافتراق المشهور : عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : **(وإنَّ بَني إسرائيل تفرَّقت على ثِنتينِ وسبعينَ مِلَّةً ، وتفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ مِلَّةً ؛ كلُّهُم في النَّارِ إلَّا مِلَّةً واحِدةً)** . قالوا : مَن هيَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قالَ : **(ما أنا علَيهِ وأَصحابي)** .

وقد وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث تقرِّر افتراق هذه الأمة من بعده على بضع وسبعين فرقة ؛ كلُّها في النار إلّا واحدةً ؛ وهي : الجماعة ، أو الفرقة الناجية ، التي هي على مِثل ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم . قال الامام أحمد رحمه الله : **((أصول السُّنّة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والاقتداء بهم ، وترْك البِدع ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ))** .

ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؛ كما شهد لهم رسول الله ﷺ في قوله : **(مَنْ كانَ على مِثلِ ما أنا عليه وأصحابي)** .

وهذا يقتضي بمفهومه أن أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ المتبعين للنبي ﷺ وأصحابه هم الفرقة الناجية دون سواهم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله موضِّحًا معنى هذا الحديث : **((ولهذا وصَفَ الفرقة النّاجِية بأنها أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ ؛ وهم الجمهور الأكبر والسّواد الأعظم . وأما الفِرق الباقية فإنّهم أهل الشذوذ والتفرُّق، والبدع والأهواء))** .

٣٨ ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم الطائفة المنصورة إلى قيام السّاعة ؛ لأن الله تعالى مؤيّدهم وناصرهم ، وأن آخرهم سيقاتِل مع عيسى بن مريم عليه السلام . عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلونَ على الحَقِّ ، ظاهِرِينَ إلى يَومِ القيامةِ)** . قال : **(فيَنزِلُ عيسى ابنُ مَريَمَ ، فيقولُ أميرُهم : تَعالَ صَلِّ بنا . فيقولُ: لا ؛ إنَّ بعضَكم على بعضٍ أميرٌ . لِيُكرِمَ اللهُ هذه الأُمَّةَ)** مسند أحمد .

وتبقى هذه الطائفة المجاهدة المقاتلة ظاهرةً بالحجة والبيان ، والقَلَمِ واللِّسانِ ، واليَدِ والسِّنان ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ وهو خير الوراثين . وهم داخلون في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ غافر : ٥١

فـأَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم عند الله : المنصورون ، وحزبه المفلحون ، وعبادُه المؤمنونَ .

٣٩ ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ كلمتُهم ظاهرةٌ ، ومذاهبهم كالشمس نائرةٌ ، ونُصُب الحق زاهِرةٌ ، وأعلامُهم بالنصر مشهورةٌ ، واعداؤهم بالقمع مقهورةٌ . وما أروعَ ما قاله التابعي الإمام أيوب السختياني رحمه الله : **((إن الذين يتمنّون موت** أهل السُّنّة **يريدون أن يطفئوا نور الله ، واللهُ مُتِمُّ نوره ولو كره الكافرون . فمن يستطيع إطفاء هذا النور ؟ والله تعالى يقول :** ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ الصف : ٨

٤٠ ـ أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ : هُم المُبْيَضَّةُ وُجوهُهم إذا اسْوَدَّتْ وجوهُ أهل البدع . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ آل عمران : ١٠٦ .

قال الصحابي الجليل الفقيه ، ترجمان القرآن ، عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، في تفسير هذه الآية : **((تَبْيَضُّ وجوهُ** أَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ **، وتَسْوَدُّ وُجوهُ أهلِ البِدْعَةِ والفُرْقةِ))** .

هذه هي أهمّ خصائص أَهْلِ السُّنَّةِ التي اختصّوا بها دون سواهُم . فنالوا بهذه الخصال الخيراتِ ، وحصلوا على البركات . وهم ليسوا معصومين من الوقوع في المعاصي ؛ بل إن منهجهم هو المعصوم ، وجماعتهم هي المعصومة . أما آحادهم فقد يقع منه الظلم والبغيُ ، والعدوانُ ، وارتكاب المخالفات ؛ لأنهم بشرٌ ؛ ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى غيرهم . ولا يُقَرُّ مَن فعل ذلك منهم ؛ بل يبتعد عن السُّنّة بقدْرِ مخالفته . ثُمّ إنّ ما عند أهل السُّنَّةِ من من مخالفات وأخطاءهي غيرهم أكثر بكثيرٍ مما عندهم ، وما عند غيرهم من فضلٍ وعلمٍ وكمالٍ فعند أهل السُّنَّةِ أكمَلُهُ وأتـمُّهُ . فـأَهْلِ السُّنَّةِ والـجَماعَةِ هم نَقاوةُ المسلمين ، وهم أهل الله حقًّا.

خِتامًا : يجب التأكيدُ على منهج سلَفِ هذه الأمة المباركة -المتمثل في منهج أَهْل السُّنَّةِ والـجَماعَةِ - ، وتعميقه ، وتعليمه ، والدعوة اليه . ومن سلك غير طريق سَلَفِه ، أفضتْ إلى تَلَفِه ، ومَن مَالَ عن السُّنّة فقد انحرفَ عن طريق الجنّة .

فاتقوا الله ، وخافوا على أنفسكم ؛ فإن الأمر صعْبٌ ، وما بعدَ الجنة إلّا النار ، وما بعدَ الحق إلّا الضّلال ، وما بعدَ السُّنّة إلّا البِدعة .

ونحمد الله تعالى أنْ جعلَنا من أَهْل السُّنَّةِ والـجَماعَةِ ، ونسألُه أن يُتِمّ علينا النعمة والمنة ، وأن يرزقنا لزوم السُّنّة ، والعمل بـالسُّنّة ، والدّعوة إلى السُّنّة وأن يتوفّانا على السُّنّة.

السُّنّة سفينة نوحٍ ؛ من ركبها فقد نجا وسلِمَ ، ومن تخلَّف عنها فقد غرِقَ وهلَكَ .

والحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على إمام المرسلين ؛ محمّد الأمين ، وآله وصحبه أجمعين .

عبد الستار الجنابي

مكة المكرمة - أواخر شعبان ١٤٤١ هجرية